إضاءة

بدر شاكر السيّاب... محطات حياتية

ـ ولد بدر شاكر السيّاب في جيكور بالقرب من أبي الخصيب في جنوب العراق عام ١٩٢٦. والده شاكر بن عبد الجبار بن مرزوق السيّاب ووالدته كريمة ابنة عم والده.

ـ كان والده يعمل في حراثة النخيل ويحيا حياة الكفاف في منزل أجداده على طرف جيكور بمكان يعرف ببقيع.

ـ عام ١٩٢٨ وعام ١٩٣٠ وضعت والدته ولدين آخَرين: عبد الله ومصطفى ووضعت بنتاً عام ١٩٣٢ وما لبثت أن توفيت والدته إثر الوضع.

ـ كان بدر ينفق أيامه في منزل جده أو في منزل جدته لأمه، حيث يلهو مع أترابه في نهر بويب وفي جنائن النخيل ويصغي عند المساء إلى الأقاصيص والأساطير الشعبية كفتوح الشام وسيرة عنترة وعمر الزمان والسندباد وأبي زيد الهلالي وحزام وعفراء وعن نابليون الثالث والعرب في إيران.

ـ عام ١٩٣٢ استقل العراق وفي العام ذاته أُرْسِلَ بدر إلى المدرسة في قرية «باب سليمان» الواقعة إلى غرب قريته جيكور وفيها أربعة صفوف ابتدائية.

ـ عام ١٩٣٦ انتقل إلى المدرسة المحمودية الابتدائية للبنين في أبي الخصيب، وكانت ذات ستة صفوف ابتدائية، بناؤها من طبقتين وفيها غرفة ذات شناشيل أي ذات زجاج ملون بالأزرق والأحمر القاني والأخضر والبرتقالي ومزينة بالخشب المحفور بالزخرف العربي وسقفها مطلي بالجبس وله تصاميم أزهار منمنمة وزخارف هندسية وقد انطبعت صورتها في ذهنه واستعادها بشعره في آخر حياته.

obeikandi.com

ـ عام ١٩٣٥ تزوج والده ثانية وانفصل عن عائلته الأولى التي أُبْقِيَتْ في عهدة الجد وانتقل إلى العيش في قرية عامية حيث رزق من زواجه الثاني ابناً دعاه خالداً وابنتين دعاهما نجاة وحياة.

ـ عام ١٩٣٨ الحق بدر بمدرسة البصرة الثانوية وعاش مع جدته لأمه في قطاع من المدينة يدعى العشار.

ـ ابتدأ ينظم الشعر منذ المرحلة الابتدائية، لكنه ازداد شغفاً به في المرحلة الثانوية ونظم قصائد وصفية وغزلية.

ـ اعجب بوفيقة ابنة صالح السيّاب ابن عم جده وكانت صبية جميلة وقد خاب أمله بزواجها ونظم في ذلك شعراً رثى به عاطفته وظلت هذه الصبية تصحب خاطره طوال عمره وقد فجع بموتها بعد نحو عشر سنين. « له فيها قصيدة على الشاطئ ١٩٤١».

ـ ساعد جده في جيكور برعاية قطيع من الأغنام حيث عرف راعية تدعى «هالة»، وقد شغف بها ونظم فيها شعراً رقيقاً.

ـ عام ١٩٤١ قام رشيد عالي الكيلاني بانقلاب في العراق انتهى بسقوطه وشنق بعض مؤيديه. وقد نظم بدر قصيدة في رثائهم.

ـ اختار الفرع العلمي في نهاية تعليمه الثانوي ولم ينقطع عن الأدب بل تفرّغ له وأقام في جماعة من الأصحاب الذين استهواهم الأدب.

ـ عام ١٩٤٢ توفيت جدته لأبيه أمينة وقد فجع بموتها ونظم فيها المراثي.

ـ عانى جده الذي كان يعيله صعوبات مالية ووقع في قبضة التجار والمرابين فاضطر إلى بيع قسم من أملاكه.

ـ عام ١٩٤٣ التحق بدار المعلمين العالية في بغداد، بعد أن أنهى دراسته الثانوية واختار فرع اللغة العربية وأقام في القسم الداخلي.

ـ ارتاد الندوات الأدبية في بغداد وكان يتردد إلى مقهى عرب أو مبارك أو الزهاوي وفيها كان يطالع دواوين الشعر العربي وبخاصة ديوان أبي تمام.

ـ شعر بمودة خاصة لاحدى زميلاته في دار المعلمين وتدعى لبيبة وكانت أكبر منه بنحو سبع سنوات واستمالته زميلة أخرى كان يسميها الأقحوانة وكانت تستعير منه دفتر شعره وتقرأه في سائر الزميلات.

ـ معظم قراءاته كانت في الشعر: ابن الرومي في رثاء المغنية بستان وديوان مهيار الديلمي والشعر والشعراء لابن قتيبة وأفاعي الفردوس لأبي شبكة وعلي محمود طه الذي أطلعه بترجماته على شعر لامرتين والفرد دي فينيي وبودلير وموسيه وشيلي. وكان يطالع الشعر الانكليزي مستعيناً بالقاموس.

ـ نظم مطولة عنوانها « ما بين الروح والجسد » عبَّر فيها عن تجاربه مع البغايا وقد افتقدت المطولة فيما بعد إلا مقاطع قليلة عثر عليها مؤخراً.

ـ عام ١٩٤٥ انتقل من فرع اللغة العربية إلى فرع اللغة الإنكليزية في دار المعلمين العالية، محاولاً أن يتثقف بتجارب الأدب الأجنبي. وانتمى في هذا العام أو قبيله بقليل إلى الحزب الشيوعي وانتخب رئيساً لاتحاد طلبة الدار وأخذ يلقي الخطابات السياسية الثائرة.

ـ شغف في هذا العام بإحدى زميلاته التي سماها « ذات الغمازتين » وقد نظم فيها شعراً، لكنها ما لبثت أن صدته وتزوجت ثرياً عراقياً. وقد أذكى ذلك في نفسه مشاعر الحقد الطبقي.

في هذه الفترة اكتشف السيّاب ت. س. إليوت وإديت سيتويل بتأثير المستر زبدي رئيس القسم الإنكليزي.

في ٢ كانون الثاني عام ١٩٤٦ فُصِلَ السيّاب من دار المعلمين إثر تزعمه حركة إضراب لمناوأة الإدارة في قرار اتخذته بإضافة سنة دراسية جديدة. وجاء في قرار الفصل أنه تم « لتحريضه على الإضراب ولاتصاله بطلاب المعاهد الاخرى لتأييده والدعاية المضرة التي نشرها».

ـ عاد بدر إلى جيكور وكان ينتقل إلى بغداد، حيناً بعد حين، ليشارك في مظاهرات ضد الصهيونية والسياسة الإنكليزية وقد سجن لفترة في سجن «بعقوبة».

ـ عاد إلى دار المعلمين في خريف عام ١٩٤٦ ونظم قصيدة «هل كان حباً » والتي اعتبرت أولى تجارب الشعر الحر لأنه اعتمد فيها التفعيلة الواحدة.

ـ طبع ديواناً في مصر بعنوان: «أزهار ذابلة » ووزِّع ببغداد في كانون الأول ١٩٤٧ مع مقدمة لرفائيل بطي.

ـ في ١٥ كانون الثاني ١٩٤٨ وقع صالح جبر وبيفن معاهدة جديدة تكملة لمعاهدة ١٩٣٠ بين العراق وبريطانيا، قامت إثرها مظاهرات اشترك فيها بدر بالمسيرات والخطب ووقعت اصطدامات مع الشرطة أهمها معركة الجسر.

ـ في العام ذاته أثيرت المشكلة الفلسطينية، فشارك بدر، أيضاً، في المظاهرات التي قامت تأييداً للفلسطينيين، وتعرف عبرها إلى فتاة صابئية تدعى لميعة وقعت من نفسه موقع الإعجاب والشغف، لكن هذا الحب انتهى إلى الفشل كسواه ولم يخلف سوى بعض القصائد التي نشرت في ديوان أساطير.

ـ ابتداءً من خريف عام ١٩٤٨ عين أستاذاً للغة الإنكليزية في الرمادي وفي هذه البلدة نظم قصيدة (السوق القديم) على إيقاع الشعر الحر.

ـ فُصِلَ بدر من وظيفته في ٢٥ كانون الثاني ١٩٤٩ بتهمة الانتماء الشيوعي وزج في الحبس ثمّ أطلق سراحه وراح يعمل في وظائف ثانوية متنقلاً بين البصرة وبغداد، ممضياً معظم وقته في المقاهي.

ـ ظهر له عام ١٩٥٠ ديوان جديد بعنوان (أساطير). طبع في النجف، ومعظم قصائد الحب فيه نظمها في لميعة حبيبته الأخيرة. وفي هذه الفترة عمل في صحيفة الشاعر العراقي محمد مهدي الجواهري وصحف بغدادية أخرى.

ـ نظم خلال عام ١٩٤٩ وما بعده مطولتي «السلام» و « اللعنات » لكنهما لم تنشرا إلاّ في بعض الصحف وبشكل مختصر.

ـ عام ١٩٥٢ نشر مطولة (حفار القبور) وهي تتألف من ٢٢٩ بيتاً من الشعر الحر.

ـ قامت مظاهرات ذلك العام ضد الحكومة العراقية من جرّاء مفاوضات البترول، اشترك بها بدر، فاضطهد ففر إلى البصرة وعبر شط العرب إلى إيران. وفُصِلَ بدر مرة ثانية من وظيفته ابتداءً من ٢٥ تشرين الثاني ١٩٥٢.

ـ في أوائل ١٩٥٣ غادر بدر إيران إلى الكويت وعمل في شركة الكهرباء.

ـ عاد بعد عام إلى بغداد وعمل في الصحافة وعيِّن في مديرية الاستيراد والتجارة.

ـ عام ١٩٥٤ نشر مطولتين: « المومس العمياء » و « الأسلحة والأطفال » وعمل كثيراً في الترجمة.

ـ عقد بدر زواجه في ١ حزيران ١٩٥٥ على إقبال بنت طه عبد الجليل، وهي معلمة من قريته تحمل شهادة التدريس الابتدائية. وفي خريف ذلك العام نشر كتاباً بعنوان: « قصائد مختارة من الشعر العالمي الحديث » وفيه عشرون قصيدة لكبار الشعراء المعاصرين.

ـ منذ تلك الفترة شرع بنشر نتاجه في مجلة الآداب البيروتية وحضر مؤتمر الأدباء العرب حيث ألقى محاضرة بعنوان: « وسائل تعريف العرب بنتاجهم الأدبي » وكان قد تَأكَّدَ أنَّه انفصل نهائياً عن الحزب الشيوعي ومال إلى القومية العربية.

ـ وضعت زوجة بدر طفلة سميت غيداء في ٢٤ كانون الأول ١٩٥٦.

ـ أبتداءً من عام ١٩٥٧ أخذ ينشر شعره في مجلة « شعر » البيروتية وقبل دعوتها لزيارة بيروت حيث احتفل بقدومه.

ـ في ٢٣ تشرين الثاني ١٩٥٧ وضعت زوجة بدر صبياً سمي غيلان، فرح به والده فرحاً عظيماً ونظم فيه قصيدة: « مرحى غيلان ».

ـ في ١٤ تموز ١٩٥٨ قام انقلاب في العراق بقيادة عبد الكريم قاسم وأبيدت العائلة المالكة وانشأت الجمهورية العراقية، فحيى بدر الثورة العراقية.

ـ في أيلول ١٩٥٨ استقال بدر من منصبه وعين في وزارة المعارف مدرساً للإنكليزية في مدرسة الأعظمية براتبٍ عالٍ قدره ٥٠ ديناراً عراقياً.

ـ فُصِلَ من وظيفته مجدداً ابتداءً من ٧ نيسان ١٩٥٩ لمعارضته حكم قاسم ومناصرته القوميين، فعمل كمترجم في السفارة الباكستانية.

ـ ابتداءً من منتصف آب ١٩٥٩ نشر بدر سلسلة مقالات في جريدة الحرية بعنوان: « كنت شيوعياً » وفيها تهجم تهجّماً مقذعاً على الشيوعيين.

ـ في تموز علم ١٩٦٠ فاز بجائزة مجلة « شعر » لأفضل مجموعة شعرية ونَشَرَت له الدار مجموعة بعنوان «**أنشودة المطر**».

ـ عاد إلى عمله في مديرية الاستيراد والتصدير في ١٦ آب ١٩٦٠.

ـ استقال عام ١٩٦١ وذهب إلى البصرة بعائلته حيث عُيِّنَ في مديرية الشؤون الثقافية في مصلحة الموانئ.

ـ وفي هذه الفترة بدأت صحة بدر تتدهور، إذ ثقلت قدماه وبدأ يشعر بألم في القسم الأسفل من ظهره.

ـ في ٧ تموز عام ١٩٦١ وضعت زوجته طفلة سميت آلاء. وفي خريف ذلك العام ألقى محاضرة في روما بطلب من المنظمة العالمية لحرية الثقافة.

ـ في منتصف نيسان ١٩٦٢ طار بدر إلى بيروت للاستشفاء حيث ادخل مستشفى الجامعة الأمريكية وفي بيروت نشر ديوانه الجديد « المعبد الغريق » في دار العلم للملايين.

ـ أبرق الأدباء اللبنانيون بطلب مساعدة للسيّاب من الحكومة العراقية فأمده قاسم بخمسمائة دينار عراقي.

ـ خرج بدر من المستشفى الأمريكي ليتعالج في عيادة طبيب ألماني وضعه في مشد لتقويم العظام غطى جسده بأكمله. ونزل في فندق (سان بول)، تقوم على خدمته ممرضة جميلة تدعى ليلى. وما لبث بدر أن شغف بها وبثّها شعره وحبه واحتفظ بخصلة من شعرها.

ـ عاد إلى البصرة وإلى العمل في مصلحة الموانئ في ٨ أيلول ١٩٦٢ وفي ١٦ كانون الأول طار إلى لندن على نفقة المنظمة الدولية لحرية الثقافة، وقد تبين أنه يشكو من مرضٍ في أعصاب الحركة تأدى عن فساد في خلاياها، وظهر بشكل شلل وضمور.

ـ في آذار علم ١٩٦٣ ظهر له في دار العلم للملايين ديوان جديد بعنوان « منزل الأقنان » وفي هذا الشهر طار إلى باريس ليفحصه طبيب فرنسي دون أن يلقى جدوى من ذلك.

ـ فُصِلَ من عمله في ٤ نيسان ١٩٦٣ بعد أن تولى عارف الحكم لأنَّه كان قد مدح قاسماً، فأخذ يعمل كمراسل أدبي لمجلة « حوار » التابعة للمنظمة العالمية لحرية الثقافة.

ـ في ١١ تموز ١٩٦٣ أعيد إلى وظيفته.

ـ في ٩ شباط ١٩٦٤ ادخل إلى مستشفى الموانئ، بعد أن أصابته قرحة في مؤخرته ولم يعد له قدرة على تمالك أجهزة البول والإفراز، كما أنه أصيب بالتهاب الرئة والإسهال الشديد.

ـ في ٥ تموز نقل إلى مستشفى الكويت ليعالج على نفقة الحكومة الكويتية. وفي تشرين الأول بدأت تنتاب بدراً نوبات من الهلوسة ثمّ تطورت إلى حالات إغماء تدوم ساعات.

ـ في الخميس الموافق للرابع والعشرين من كانون الأول ١٩٦٤ توفاه الله إليه.

obeikandl.com